ماضى القرويين وحاضرها

للاستاذ عبد الله كنون الحسنى

تتمـــــة

ومنذ جريان العمل بهذا النظام والانتقادات توجه إليه من كل طبقة من الطلاب . وأحق هذه الانتقادات بالالتفات أن غالب المواد أسندت إلى من لا يحسنها ، وأن كتب الدراسة لم يدخل عليها أى تعديل . فالفقه مثلاً لا زال يدرس فى مختصر الشيخ خليل ذى الشروح العديدة والحواشى الكثيرة ؛ والنحو لازال يدرس فى الابتدائى بشرح الأزهرى للأجرومية . والألفية أبدل شرح المكدودى لها بشرح ابن الناظم وليس بذاك

على أن الذى لا يصح إنكاره من محاسن هـذا النظام فضلا عن ضبطه لأوقات الدراسـة هو إحياؤه لعلوم الحديث والتفسير، وإدخاله لبعض العلوم التى كان الطالب القروي محروماً منها كالتاريخ والجغرافية والهندسة . فأما كون المواد تسند إلى غير أهلها فالحقيقة فى ذلك أن بعض العلوم لم يكن لأهل القرويين فى الوقت الحاضر بها مساس مع ما انضم لذلك من إبعاد نبغاء أهل العلم والأدب عن الكلية وأخذهم للوظائف الحكومية ؛ فواجب أن تجلب الحكومة بعض أساتذة تلك العلوم من معاهد الشرق بينما ترسل بعثات من أبناء القرويين للتخصص فيها وتدريسها عند عودتهم . كما يجب أن يعاد أولئك الأفاضل المفصولون عن الكلية إلى حظيرة التعليم ؛ فمن الجور أن يضيع عمرهم فى غير ما خلقوا له ويضاع معه مستقبل الطلبة الذى نحن عليه جد حريصين

وأما مسألة الكتب فإن الزمان كفيل بتعديلها على أحسن الوجوه . ومن الانصاف أن نعترف أن الوقت لم يحن بعد لتسويتها كما ينبغى ، لما نرى عليه بلادنا من التأخر المزرى فى وسائل النشر وصناعة الطبع . وعسى ألا يستمر الأمر على ذلك زماناً طويلاً ولا سيما بعد تنظيم خزانة القرويين والاهتمام بجمع كنوزها وذخائرها وحفظها من التلف ورد اليد العادية عنها فالمستقبل باسم إن وجد من يعمل بجد وإخلاص

هـذا، ولنا نظر فى إصلاح القرويين نبديه هنا — ولو لمجرد المناسبة — فهو أقرب تناولا وأمثل سرعة وأنسب حالا من كل إصلاح غيره . وذلك أننا نرى أن تخصص الكلية بالدراسات الاسلامية المحضة وما يعين عليها ، من علوم القرآن بما فيها القراءات التى قدمنا ما كان لأسلافنا من العناية بهـا، والحديث والفقه والأصلين ووسائل ذلك من النحو والفقه والبيان والمنطق والحساب والهيئة ونحوها ، على أن تكون دراسة هـذه بحسب التبع لتلك، ومن أجل أنه لا يتوصل إلى المطلوب إلا بها، ولذلك كان أشياخنا رحمهم الله يسمونها علوم الآلات ؛ والمقصود الأهم الذى يجعل نصب العين ويخص بالتعمق فى النظر والتوسع فى البحث هو الفقه والحديث وسائر العلوم المذكورة سابقاً التى نؤمل من وراء دراستها على هذا النمط والانقطاع لها بهذه القابلية أن نخرج رجالاً متضلعين منها أشد التضلع ، متقنين لها أحسن الاتقان ، فنعيد عهـد مالك والشافعى والبخارى وأحمد بن حنبل والأشعرى والماتريدى وابن حزم وابن العربى وعياض وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم

وذلك فى حين توجه الرغبة واشتداد الطلب وتضافر الجهود الى تأسيس جامعة عصرية Université تتكون من ثلاث كليات إحداها للأدب والثانية للطب والثالثة للعلوم . والتى للأدب نعوض بها تلك الدراسة الناقصة العقيمة التى حذفناها من برنامج القرويين، إذ أصبح من المسلم به أن الأدب لا يحيا بتلك الطريقة، ولا ينتظر أن يكون له مستقبل فى هـذه البلاد ما دام لم يوجه الاتجاه المطلوب التى تقتضيه الظروف الحاضرة ، وامتداد إبان البحث إلى مالم تكن عليـه فى الأزمان الغابرة . والثانى للطب والعلوم نسد بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية والعملية التى ما فتئنا نسمع التبشير بها والوعد باستقبالها منـذ ربع قرن فأكثر كما كنا لا نرى لها أثراً إلا عند الغير

وبقطع النظر عن مسألة القرويين نحن لا نرى بدأ — إذا كنا نريد نهضـة حقيقية مبنية على أساس متين من الاصلاح الاجتماعى الشامل — من إنشاء هـذه الجامعة التى كم عنينا بأمرها وتهممنا بشأنها . ولذلك نتوجه بطلبتنا هـذا إلى